العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة، وما هو أعلم بها، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله - عز وجل-:{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}[1]وقوله:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}[2]، وقوله:{إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}[3]وقوله:{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ}[4]ونحو هذه من متشابه القرآن فقل: إنما يعنى بذلك العلم، لأن الله - عز وجل - على العرش فوق السماء السابعة العليا، يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان.

وقال فى رواية أبى جعفر الطائى محمد بن عون بن سفيان الحمصى، قال الخلال[5] حافظ إمام فى زمانه معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة: كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه، ويسأله عن الرجال من أهل بلده، وقال: أملى على أحمد بن حنبل فذكر رسالة فى السنة ثم قال فى أثنائها: وإن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر. قال النبى ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ورأيت الكوثر، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**» [6] فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول ﷺ وبالقرآن، كافر بالجنة والنار، يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وقال فى رواية عبدوس بن مالك العطار، وذكر رسالة فى السنة قال فيها: والجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**» [7]. فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار. فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التى لا تظفر بها فى غير هذا الكتاب البتة. ونحن اختصرنا الكلام فى ذلك ولو بسطناه لقام منه سِفْر ضخم، والله المستعان وعليه التكلان، وهو الموفق للصواب.

* * * * * * *

الباب التاسع

---

(1) آية (16) سورة ق.
(2) آية (4) سورة الحديد.
(3) آية (7) سورة المجادلة.
(4) الآية السابقة.
(5) الخلال: أحمد بن محمد بن هارون. أبو بكر. الخلاّف. مفسر. عالم بالحديث واللغة. من كبار الحنابلة. توفي سنة: 311هـ. معجم الأعلام: 63.
(6) البخارى (142/4)، ومسلم فىالذكر والدعاء: حديث (94)، وأحمد (234/1).
(7) سبق تخريجه.

1 فى ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى:{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[1]. وقال فى صفة النار:{حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}[2] بغير واو، فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لكونها ثمانية، وأبواب النار سبعة فلم تدخل الواو.

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين.

وقالت طائفة أخرى: الواو زائدة، والجواب الفعل الذى بعدها كما هو فى الآية الثانية، وهذا أيضا ضعيف، فإن زيادة الواو غير معروف فى كلامهم، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة.

وقالت طائفة ثالثة: الجواب محذوف. وقوله: {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} عطف على قوله: {جَاؤُوهَا}. وهذا اختيار أبى عبيدة[3]، والمبرد[4]، والزجاج وغيرهم.

قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم. قال أبو الفتح بن جنى: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به.

بقى أن يقال: فما السر فى حذف الجواب فى آية أهل الجنة، وذكره فىآية أهل النار؟ فيقال: هذا أبلغ فى الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت فى وجوههم فيفجأهم العذاب بغتة فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه فإنها دار الإهانة والخزى فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول،

وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولى العزم

---

(1) آية (73) سورة الزمر.

(2) آية (71) سورة الزمر.

(3) أبوعبيدة هو: معمر بن المثنى التميمى، وكان علىسعة معرفته فى اللغة إذا أنشد بيتا لم يقم اعرابه. مات سنة (209هـ). له ترجمة فى: وفيات الأعيان (105/2)، ومعجم الأدباء (154/19)، وتاريخ بغداد (252/13).

(4) المبرد هو: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى، كان شيخ أهل النحو والعربية، وإليه انتهى علمهما. مات سنة (285هـ). له ترجمة فى وفيات الأعيان (495/1)، وتاريخ بغداد (380/3)، وأنباه الرواة (241/3).

من رسله، فكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول: أنا لها. فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجدا لربه فيدعه ما شاء أن يدعه، ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه - سبحانه - في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطرها، وإظهارا لمنزلة رسوله وكرامته عليه. وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك رب العالمين، إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها، وما ركبه من الأطباق طبقا بعد طبق، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله - تعالى - لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم. وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور، مما يقدر عليه بخلاف ذلك، ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان[1] الذي يدخله من شاء فجنة الله عالية غالية، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، ولهذه الدار فليعد عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق له وهيئ له.

وتأمل ما في سوْق الفريقين إلى الدارين زمرا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة، مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير. كذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض.

وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرا يلعن بعضهم بعض ويتأذى بعضهم بعضاً وذلك أبلغ في الخزى والفضيحة والهتيكة، من أن يساقوا واحدا واحدا فلا تهمل تدبر قوله: {زُمَرًا}.

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: سلام عليكم، فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه، أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم: طبتم فادخلوها خالدين، أي سلامتكم ودخولها بطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين؛ فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود.

وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه من توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم:{أَلَمْ

(1) الخان: النُّزُلُ، الفندقُ. المكان الذي يُعَدَّ للنازلين والضيفان. المختار والمعجم الوسيط: خان.

3 يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا}[1] فاعترفوا وقالوا: بلى فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المثوى لهم.

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: ادخلوها. وقول خزنة النار لأهلها: ادخلوا أبواب جهنم، تجد تحته سرا لطيفا، ومعنى بديعا لا يخفى على المتأمل وهو: أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء، وأشد حرًّا وأعظم غمًّا، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها، ويدنو من الغمّ والخزى والحزن والكرب بدخول الأبواب. فقيل: ادخلوا أبوابها صَغارا لهم وإذلالا وخزيا، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود فى النار.

وأما الجنة فهى دار الكرامة والمنزل الذى أعده الله لأوليائه، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها.

وتأمل قوله سبحانه:{جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ}[2] كيف تجد تحته معنى بديعا؟، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مُفتَّحَة كما هى.

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالى:{إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ}[3] أى مطبقة مغلقة، ومنه سمى الباب وصيدا وهى:{مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ}[4] قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب.

قال مقاتل[5]: يعنى أبوابها عليهم مطبقة، فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد.

وأيضا فإن فى تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم، وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاءوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت.

وأيضا أشار إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب، كما كانوا يحتاجون

---

(1) آية (71) سورة الزمر.
(2) آية (50، 51) سورة ص.
(3) آية (8) سورة الهمزة.
(4) آية (9) سورة الهمزة.
(5) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن. توفي سنة: 150 هـ معجم الأعلام: 857.

إلى ذلك فى الدنيا.

وقد اختلف أهل العربية فى الضمير العائد من الصفة على الموصوف فى هذه الجملة.

فقال الكوفيون: التقدير مفتحة لهم أبوابها، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العين أى عينه، ومنه قوله تعالى:{فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}[1] أى مأواه.

وقال بعض البصريين: التقدير: مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به، قال: وهذا التقدير فى العربية أجود من أن تجعل الألف[2] واللام بدلا من الهاء والألف، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف فى شىء، لأن الهاء والألف اسم، والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف من اسم ولا تنوب عنه، قالوا: وأيضا لو كانت الألف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون فى {مُّفَتَّحَةً} ضمير الجنات، ويكون المعنى مفتحة هى ثم أبدل منها الأبواب، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون {مُّفَتَّحَـةً} قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد، فلما ارتفع الأبواب دلّ على أن مفتحة خال من ضمير، والأبواب مرتفعة به. وإذا كان فى الصفة ضمير تعين نصب الثانى كما تقول: مررت برجل حسن الوجه، ولو رفعت الوجه ونونت حسنا لم يجز، فالألف واللام إذا للتعريف ليس إلا، فلابد من ضمير يعود على الموصوف الذى هو جنات عدن، ولا ضمير فى اللفظ فهو محذوف تقديره: الأبواب منها.

وعندى أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغنى عنه، وإجماع العرب على قولهم: "حسن الوجه"، "وحسن وجهه" شاهد بذلك، وقد قالوا: إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التنوين، والتنوين بدل من الإضافة، بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا، أن معنى البدل معنى المبدل منه، بل قد يكون فى كل منهما معنى لا يكون فى الآخر.

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام فى الأبواب أغنت عن الضمير. لو قيل: أبوابها؛ وهذا صحيح، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال، وكذلك لام التعريف فإن كلا من

---

(1) آية (39) سورة النازعات.

(2) الهاء والألف: "ها" في "منها" في تقدير بعض البصريين (مفتحة لهم الأبواب منها)

الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسرة، وهذا يعين ما دخل عليه ؛ وقد قالوا فى زيد: نعم الرجل: إن الألف واللام أغنت عن الضمير. والله أعلم.

وقد أعرب الزمخشرى هذه الآية إعرابا اعترض عليه فيه فقال: جنات عدن معرفة كقوله:{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ}[1] وانتصابها على أنها عطف بيان {لَحُسْنَ مَآبٍ}[2]، ومفتحة حال، والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات، والأبواب بدل من الضمير تقديره: مفتحة، هى الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل وهو بدل من الاشتمال، هذا إعرابه، واعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضى تعريفها. وأما قوله:{الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ} فبدل لا صفة، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان{لَحُسْنَ مَآبٍ} على قوله، لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان، لا قائل به، فإن القائل قائلان.

أحدهما: أنه لا يكون إلا فى المعارف كقول البصريين.

والثانى: أنه يكون فى المعارف والنكرات بشرط المطابقة، كقول الكوفيين وأبى على الفارسى. وقوله: إن فى {مُّفَتَّحَةً} ضمير الجنات، فالظاهر خلافه، وأن الأبواب: مرتفع به ولا ضمير فيه.

وقوله: إن الأبواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لابد فيه من الضمير، وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظا به، وأن يكون مقدرا؛ وهنا لم يلفظ به فلابد من تقديره أى: الأبواب منها، فإذا كان التقدير {مُّفَتَّحَةً} لهم هى الأبواب منها، كان فيه تكثير للإضمار وتقليله أولى.

وفى الصحيحين[3] من حديث أبى حازم عن سهل[4] بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«فى الجنة ثمانيةأبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون»**.

وفى الصحيحين[5] من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أنفق زوجين فى شىء من الأشياء فى سبيل الله،**

---

(1) آية (61) سورة مريم.

(2) فى قوله تعالى: {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: 49]

(3) البخارى (32/3)، ومسلم فى الصيام: حديث (166).

(4) سهل بن سعد بن مالك الأنصارى الخزرجى الساعدى. كان اسمه حزنا فسماه النبى ﷺ سهلا. وتوفى النبى ﷺ وله خمس عشرة سنة، ما سنة (88) وقيل (96هـ). له ترجمة فى: الرياض المستطابة ص (110، 111).

(5) البخارى فى الصوم: ب(4): حديث (1896)، ومسلم فى الزكاة: ب(27): حديث (85).

دعى من أبواب الجنة، يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟، فقال: نعم، وأرجو أن تكون منهم».

وفى صحيح مسلم[1] عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت لـــه أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

زاد الترمذى[2] بعد التشهد: «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين»

زاد أبو داود والإمام أحمد[3]: «ثم رفع نظره إلى السماء فقال».

وعند الإمام أحمد[4] من رواية أنس يرفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قـــال ثـــلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فتح لـــــه أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل».

وعن عتبة بن عبد الله السلمى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يتـــوفى لـــه ثلاثا من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجة[5] وعبد الله بن أحمد[6] عن ابن نمير ثنا إسحاق بن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة.

* * * * * * *

الباب العاشر
فى ذكر سعة أبوابها

عن أبى هريرة قال: «وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع – وكان أحب الشاة إليه – فنهش نهشة وقال:" أنا سيد الناس يوم القيامة، ثم نهش أخرى وقـــال:

---

(1) مسلم فى الطهارة: ب(6): حديث (17).
(2) الترمذى فى الطهارة: ب(41): حديث (55).
(3) أبو داود فى الطهارة: ب(65)، وأحمد (145/4، 146، 153).
(4) سبق تخريجه.
(5) (حسن) ابن ماجة فى الجنائز، ب(57): حديث (1604).
(6) رواه أحمد في مسنده 183/4 - 184.